صوت الجيم في العربيَّة بين الأصالة والتطور- دراسة تأريخية وصفية-

أ.م.د. عمار نعمة نغيمش/ كليَّة التربية/ جامعة القادسيَّة
م.م عامر محسون هادي/ باحث اكاديمي

Search by A ..m. dr. Ammar nima and Amir Mahsoon/ Qadisiyah University College of Education Usere qu.edu.iq

Abstrac:

The voice of G is one of the most varied and complex voices among the voices in the Arabic language in terms of speech among the ancients and modernists, which made them speak in their lesson. We thought that this voice should be examined in the light of what the advanced and modernists have made. The voice of G is originally developed as Historical and descriptive.

The nature of the research has to begin with an introduction, followed by a preface, in which we studied the definition, the director, the character and how to pronounce. Then we discussed the forms of the voice of the G . We studied the problems raised by the modernists about this sound and presented it to the applicants. And then a list of sources and references.

المقدمة:

يعدُّ صوت الجيم من أكثر الأصوات اختلافا وتعقيدا من بين الأصوات في اللغة العربيَّة من حيث الكلام عليه بين القدماء والمحدثين مما جعلهم يدلون بدلوهم في درسه، وقد ارتأينا أن نبحث هذا الصوت بلحاظ ما اجترحه المتقدمون والمحدثون، فعنونا البحث بـ (صوت الجيم في بين الأصالة والتطور دراسة تأريخيه وصفية). وقد اقتضت طبيعة البحث أن يبتدأ بمقدمة يأتي بعدها تمهيد درسنا فيه التعريف و المخرج والصفة وكيفية النطق، ومن ثَمَّ عقدنا مبحثا عن أشكال صوت الجيم درسنا فيه المشكلات التي أثارها المحدثون عن هذا الصوت وعَرْضها على ما ذكره المتقدمون ، وجاءت بعد ذلك خاتمة لأهم النتائج، ومن ثَمَّ قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد- التعريف والمخرج والصفة:

المعروف في المنجز العربيّ التراثيّ أنَّ الجيم حرف من حروف الهجاء ، و من الحروف التي تؤنث وتذكر ، وهو حرف مجهور يكون في كلام العرب على ضربين أصل ومبدل، فإن كان أصلا فإنَّه يقع فاء وعينا ولاما، وإن كان بدلا فمن الياء فحسب(١). أما المخرج فقد عدَّهُ الخليل من الأصوات الشجريَّة، وهي: (ج ش ض)(٢)، وقد وصفه سيبويه من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى، وجعله من مخرج الشين والياء(٣)، واختلاف سيبويه مع الخليل في أصوات هذا المخرج هو في صوت الضاد والياء، وعند المحدثين صوت غاريّ ،أي : الغار مع مقدم اللسان، وهو عندهم من مخرج الياء والشين(٤)، ويظهر مما تقدم أنَّ وَصْف المحدثين لمخرج هذا الصوت يطابق ما وصفه سيبويه من قبل. وثمة صفات اجتمعت في صوت الجيم هي الجهر، والاستفال، وغيرها(٥)، وهي عند المتقدمين فيها صفة الشدة (٦)، وفي الدرس الحديث مركبة(٧)، ومن هنا علل المحدثون وضعها من أصوات القلقلة؛ فالتركيب يجعله مشتملا صفتين، الشدة التي هي موضع الضغط أو موضع النبرة والصويت مع أصوات القلقلة، والرخاوة (٨). وينطق بهذا الصوت بخروج الهواء من الرئة مرورا بالحنجرة مؤديا اهتزاز الوترين الصوتيين، ومن ثم بالحلق وصولاً إلى مخرجه ،وفيه ترتفع مقدمة اللسان فينطبق على الغار الأعلى محدثاً ضغطاً، ثم ينفصل انفصالاً بطيئاً بخلاف الأصوات الشديدة، مسببا نوعاً من الحفيف والانفجار؛ وهنا قيل إن هذا الصوت مركب(٩) .

الأنواع: يُعَدُّ صوت الجيم من أكثر الأصوات اختلافاً بين الدارسين، لذا يجد دارس صوت الجيم بالعربية كثيرا من البحوث والدراسات، وقد درس في الجزريات، وسنذكر تفرعات ما ذكر بما يأتي(١٠):

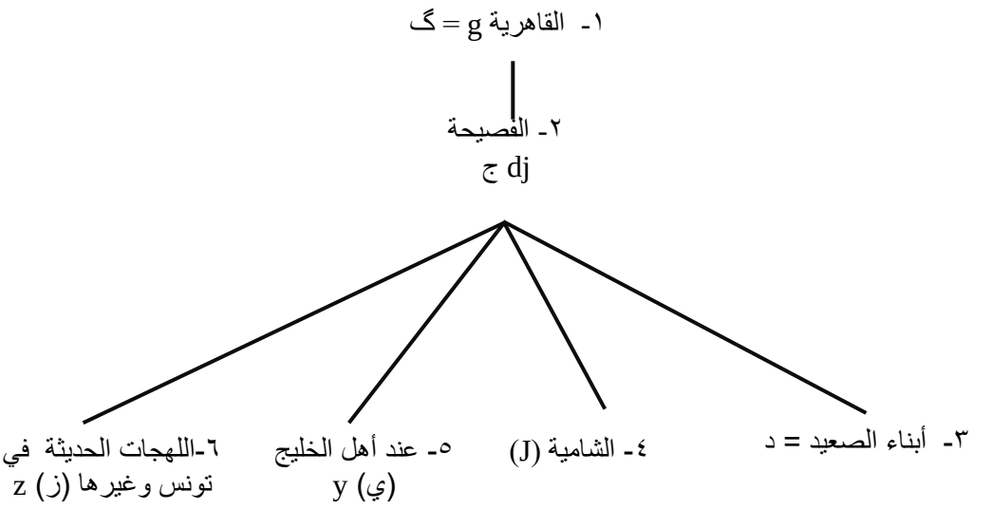

والذي ينظر إلى المخطط آنفا يجده فارغا من ذكر العراق في نطق الجيم ، فصوت الجيم في العراق على ما نسمعه في الزمن الحاضر ينطق بعدة صور موزعة على الأشكال التي ذكرت في هذا المخطط، وهي موزعة جغرافيا من شماليه إلى جنوبيه، فبعضه يعم، وبعضه يقتصر على مناطق وقبائل من دون أخرى وتبعا لتواجدها في أماكن من دون غيرها، وأشكال الجيم في العراق[*] هي: الجيم التي تنطق ياء وهي عند بعض قبائل الجنوب والوسط مثل قبيلة خفاجة في الجنوب والوسط التي تنطق الجيم ياء، نحو كلمة (دجاجة) تنطقها(دياية)، وكذلك تنطقها قبيلة بني ركاب، وقبيلة آل مسعود، والجيم المشربة بالشين (الشاميَّة) تنطق في المناطق الريفيَّة في الوسط والجنوب، فعلى سبيل المثال يقال: (جبَّار) بإشراب الجيم بالشين (الجيم الشاميَّة)، وغيرها كثير من الكلمات شبيهة بهذا النطق. وجدير بالذكر أنَّ الصورتين السابقتين تجدهما تقتصران على كلمات من دون أخرى، فكثير من الكلمات فيها الجيم تنطق بالفصيحة ولا تقلب ياء عند القبيلة نفسها، وكذلك الحال للجيم الشاميَّة فكثير من الكلمات في الريف تنطق بالجيم الفصيحة ولا يتم قلبها إلى الجيم الشاميَّة ، ومن الملاحظ أيضا أنَّ هذين الصوتين يكادان يُهجران عند هذه القبائل عندما يسكن أهلها المدن أو يقتربون منها، وكذلك الحال عندما يهاجر الريفيّ إلى المدينة أو يسكن بالقرب منها ، مما تجدر الإشارة إليه أنَّ أهل المدينة عندما يسمعون الريفيّ ينطق في كلامه الجيم الشاميَّة أو الجيم المبدلة ياء يعيبونه عليها ويصبح عرضة للسخرية عندهم؛ إذ تعدَّ من علامات (المعيديّ) عندهم، ومن علامات بُعده عن الثقافة والحياة المدنيَّة مما يضطره أحيانا إلى إخفاء هذا الصوت من كلماته عند ذهابه إلى المدينة، أو عند انتقاله للعمل فيها، أو إكمال دراسته، مما تجعله هذه السخرية مضطرا إلى عيش حياة مزدوجة لغويا؛ لأنَّ بعض الكلمات ينطقها بلهجة المدينة بالجيم الفصيحة فإن خَلِيَ بمن على شاكلته أو رجع إلى أهله رجع لنطقها بالجيم الشاميَّة مجددا. أما الجيم الفصيحة (المركَّبة)، فتنتشر جغرافيا على جميع مناطق العراق.

وبالرجوع إلى المخطط يظهر ممّا تجمَّع من مادة أنَّ هذه الأشكال لا اعتراض عليها من ناحية وجودها أو نطقها في البلدان العربية، لكن الاعتراض أو الذي لا يُقْبَل فيها أنَّ بعض الباحثين ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس يرون أنَّ أغلب هذه الصور هي تطور في اللهجات الحديثة عن تلك الجيم الفصيحة أيام نزول القرآن الكريم[١١]، أو على أقل تقدير أيام تقعيد اللغة ووصفها من العلماء ،ومنهم سيبويه، فذكر الدكتور أنيس أنَّ الجيم الفصيحة ((المركبة))، وهي الأقرب إلى الجيم الأصليَّة، وأما الأنواع الأخرى هي متطورة عن الفصيحة، وهذا التطور أصابها في اللهجات العربيَّة الحديثة، ثم يعلل هذا تطور الجيم العربية إلى الجيم القاهرية أو إلى الدال في لهجة أهالي الصعيد مصر على أنه مسوغ بالتغيرات الصوتية [١٢].

و لا يمكن قبول ما ذكر؛ لأنَّه ابتعد في جعله ما قيل آنفا عن فهمه أن الجيم تطورت في اللهجات الحديثة ؛ لأنَّها كانت موجود أصلا في ذلك الوقت، فذكرها صاحب الكتاب ، وهي من الحروف المقبولة قراءة ، وبعدها تناول الحروف غير المستحسنة ومنها الجيم التي كالكاف، وهذا هو شكل الجيم القاهريَّة الحديثة عند الدكتور إبراهيم أنيس، ثم ذكر الجيم التي كالشين، وهذا الشكل هو صورة الجيم الشامية الحديثة عند الدكتور، ثم ذكر سيبويه أنَّ أشكال الجيم هي لغة من تُرتَضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن الكريم.

والشكل الآخر الذي ذكره الدكتور أنيس وعدَّه من أشكال التطور التي تشبه الدال، وهذا الشكل فقد برهن على وجوده أيام نزول القرآن الكريم!، ويدلك على هذا القول كلامه في سياق تحليله لسورة البروج، إذ ذهب الدكتور إلى تحليل الفواصل الصوتية في نهايات الآيات في هذه السورة وما تكتنفه من نغمة موسيقيَّة جعلته يحكم بنطق صوت الجيم دالاً.

وبهذا يظهر أنَّ أشكال التطور الحديثة التي ذهب إليها الدكتور أنيس كانت موجودةً أيام نزول القرآن أو قبله أو بعده ، على حين أن القرآن يستعمل الفاصلة تبعا للمعنى .

وبقي للبحث أن يعرض إلى أصل الجيم في أخوات العربية، فقال باحثون عدة إن القاهرية االأصل [١٣].

ومنهم كمال بشر الذي عد الجيم القاهريّة أصلا فيها ، والقضية الأخرى برأيه إنما هي شكل من أشكال التطور عن هذا الأصل، وجاء بقضايا تثبت رأيه هي:

١- ما نقله بعض الدارسين لهذه اللغات مثل ليتمان القائل بالرأي نفسه مستدلا بما ينطق في العبريَّة والحبشيَّة والسريانيَّة [١٤].

٢- ما ذهب إليه بعضهم ، ومنهم سيبويه في أثناء حديثه عن الجيم الشبيهة بالكاف، وكذلك يستدل على هذا الرأي بقراءة بعضهم ((حتى يلك الكمل))[١٥] .

٣- يستدل على هذا الرأي بما ذكرته اللهجات الحديثة، لاسيما القاهريّة واليمنيَّة الحديثة[١٦]، فيقر على أن هذا النطق في هذه الجهات هو أثر قديم .

٤- و بعد كلام طويل عن علماء العربية يصرح أن هذ الازدواج في النطق هو الذي جعل العرب يتخبطون في تعرف حقيقة الجيم [١٧]. والحق أنه يمكن أن نقدم مجموعة من النقاط على ما سبق ذكره :

١- القول بأصالة الجيم القاهريَّة وتطور جيم القراء عنها يعني تقدم الجيم في مخرجها إلى الأمام؛ ذلك لأنَّ الجيم القاهريَّة أو الوقفة القصيَّة بحسب ما تسمى لا فرق بينها هي و الكاف إلا بالجهر في الأولى والهمس في الأخرى، فهما من باب واحد ، وسبق أن دحضه المؤلف في كلام سابق [١٨]، وهذا االنص يثبت عدم التوافق بين الرأيين.

٢- دليله بالاعتماد على بعض الدارسين الثقات يعارض ببعض الآراء التي تشير إلى أنَّ الأصل في الجيم العربية هي الجيم الفصيحة ((المشجرة))، وأنَّ أنواع صوت الجيم كثير الاختلاف في بلاد العربي، وهو مأخوذ الجيم الأصليَّة، وهو ما يمكن حصوله في بعض اللغات [١٩]، وما نقله ولفنسون ف(جمل) هي في العربيَّة بهذا الوصف، وفي الآشوريَّة (جَملو)، وغيرها[٢٤].

٣- وتعليقا على الدليل الذي استند فيه على نصوص صاحب الكتاب ، وما مقر في العربية القديمة فهذه النصوص لا تثبت أصالة الجيم شبيهة الكاف، فهي رأي قوي نستدل على وجودها في ذلك الوقت وبلهجة ليست جيدة؛ فسيبويه انتبه إلى هذا، وعده مستقبحاً في القراءة وغيرها أما استدلاله بالأمثلة الواردة في لغة القليل من العرب، وقراءة من قرأ ((حتى يلك

الكمل))[٢١] فهو شاذ لا يؤيد أرجحية هذا الصوت ، بل لعلَّ قائلاً يقول: إنَّ قِلَّة هذه الشواهد وكثرة الشواهد الواردة في صوت الجيم الفصيحة على هو الشائع.

٤- و من الأدلة التي ذكرها سابقاً استدلاله باللهجات الحديثة ومنها القاهريّة واليمنيّة الحديثة، وهذا الاستدلال يمكن رده بالآتي :

أ- إنَّ هذا النطق (الجيم القاهريّة) لم يكن في مصر .

ب- كان صاحب الكتاب أنذاك في البصرة لا القاهرة، وهذا يعني أنَّ هذا الصوت كان موجوداً في البصرة وما جاورها تلك التي سمع منها اللغويون القدماء ، فوصفوها بلهجة غير مستحسنة.

ت- تذكر الدراسات إنَّ المصرية من فصيلة اللغات الحاميّة ، وهذا يعني أنَّها لو احتسبت من الأسرة الأخرى لقوي الترجيح.

ث- لا يمكن القبول بما وصف به العرب من الاضطراب ، لأنهم عرفوا بالقرابة بين اللغات .

ومن الأدلة على معرفة العرب للغات الجزريّة قول الخليل: ((وكنعان بن سام بنو نوح يُنسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربيّة))[٢٢].

إلى هنا يتضح أو يُستنتج من هذه المناقشة أنَّ أصالة الجيم القاهريَّة هو أمر غير مقطوع به بل لعلّ الراجح هو أصالة الجيم الفصيحة، أو وجودهما معاً في تلك الحقبة تمثلان قسمين من أقسام نطق الجيم في اللغات الجزريّة، والمرجحات السابقة يمكن لها أنْ تزيد كفة أصالة الجيم الفص

حصيلة البحث :

تبين أن هناك مجموعة من النقاط أو المشكلات التي تسجل على ذكره المحدثون مثل: دكتور ابراهيم انيس، والدكتور كمال بشر، إذ اقتصرنا على رأيين لهما نذكرهما هنا :

١- واضح أن ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس من أن أغلب صور الجيم المذكورة في المخطط المذكور آنفا في البحث إنما هو تطور في اللهجات الحديثة، وغيرها، وهو رأي غير مقبول ، فالمؤلف وإن قرب من الواقع في أصالة الجيم إلا أنه ابتعد في أثناء عده كلا من الجيم القاهرية، والشامية، والصعيدية أشكالا تطورت باللهجات الحديثة لأن هذه الاشكال كانت موجودة أنذاك، لاسيما في أثناء وصف اللغة .

٢- إن ما ذكره الدكتور كمال بشر عن الجيم القاهرية بجعلها الأصل في صوت الجيم بهِ حاجة الى نظر ، لأن القول بأصالة الجيم القاهرية ، وتطور جيم القراء عنه يعني تقدم صوت الجيم في مخرجه الى الامام بأن الجيم القاهرية أو الوقفة القصية بحسب ما تسمى لا فرق بينها وبين الكاف إلا في جهر الأولى وهمس الثانية ،فهما من مخرج واحد، وهو ما أنكره د . كمال بشر مما يجعل الرأي غير متوافق، وفي النهاية نقول إن أصالة الجيم القاهرية هو أمر غير مقطوع به، ولعل الراجح هو أصالة الجيم الفصيحة أو وجودهما معاً في تلك المدة، إذ إنهما يمثلان شكلين من أشكال نطق الجيم في اللغات الجزرية .

الهوامش :

(١) ينظر : سر صناعة الاعراب ، ابن جني ١٧٥/١ ، ولسان العرب ، ابن منظور : ١٥١/١

(٢) ينظر ما ذكره الخليل :٥٨/١.

(٣) ينظر ما قال به صاحب الكتاب :٤٣٣/٤.

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة، د.تمام حسان: ١٠٤، ١٢٤.

(٥) نفسه :٨٦.

(٦) ينظر: سر الصناعة : ٦١/١

(٧) ينظر:علم اللغة ، السعران :١٨٢، وما ذكره أنيس :٢٢

(٨) ينظر: ما ذكره عبد العزيز الصيغ : ١٢٨.

(٩) ينظر: التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر: ١٦– ١٨.

(١٠) ينظر: ما قسمه المؤلف: ٣٤٢.

(*) ينقل استاذنا الدكتور غانم قدوري الحمد عن ابن دريد ان هناك لغة نطقت به العرب في اليمن ، وهي الكاف التي بين الجيم والكاف ، وقد ذكر الدكتور انها كثيرة في عوام اهل بغداد ، يقول بعضهم : كَمَلٌ ورَكَلٌ في جمل ورجل ، ينظر المدخل الى علم اصوات العربية : ٢٨٥

(١١) ينظر: ما ذكره أنيس: ٧٦.

(١٢) ينظر: نفسه : ٨٠.

(١٣) ينظر: علم الأصوات: ٣١٩، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب: ٩٢.

(١٤) راجع ما ذكره د.حسام النعيميّ :٦٥.

(١٥) راجع ما قال به صاحب علم الأصوات: ٣٢٢.

(١٦) نفسه.

(١٧) علم الأصوات: ٣٢٢.

(١٨) نفسه: ٣٢٥.

(١٩) المرجع نفسه: ٣١٩.

(٢٠) ينظر ما نقله برجستراسر: ١٧

(٢١) ينظر: فقه اللغات الساميَّة، بروكلمان:١١، وفقه اللغة، د. حاتم صالح الضامن: ٢٩.

(٢٢) والمغمز الذي يثار على المؤلف أنه لم يذكر مصدر القراءة ، علما أن القراءة غير موجودة في الكتب المختصة

(٢٣) العين: ٢٠٥/١.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أصوات العربية بين التحول والثبات، د. حسام سعيد النعيميّ، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة، د.ط، د.ت.
- الأصوات اللغويَّة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصريَّة، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، ط٤، ٢٠٠٧م.
- التطور النحويّ للغة العربيَّة، برجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤.
- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م
- علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م.
- علم اللغة، د محمود السعران ، دار المعارف ،مصر ، ١٩٦٢.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرائيّ، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- فقه اللغات الساميَّة، كارل بروكلمان، ترجمة، د. رمضان عبد التواب، د.ط، ١٩٧٧م.
- فقه اللغة : د. حاتم صالح الضامن، دار الآفاق العربيَّة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٤، ١٤٣٣ هـ-٢٠١٢م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذليّ، دار المعارف، القاهرة، ط١، د.ت.
- مدخل إلى علم أصوات العربية د. غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، ط١، ٢٠٠٤، الأردن
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، د عبد العزيز الصيغ ، دار الفكر ، ط١، سوريا ، ٢٠٠٧.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، د. ط، ١٩٩٠.